

المسرح الجامعي في الجزائر قراءة في أعمال رائدة University theater in Algeria reading in pioneering works

د. محمد سعدون¹

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

saadoun54@hotmail.fr

تاريخ الوصول 2022/07/16 القبول 2022/09/06 النشر على الخط 2022/09/15

Received 16/07/2022 Accepted 06/09/2022 Published online 15/09/2022

ملخص:

كان للمسرح منذ القدم أهمية بالغة في نشر الوعي بين الجماهير كونه وسيلة مؤثرة في النفوس، بما يتضمنه من قيم فنية وإنسانية واجتماعية تلامس الواقع وتتصل اتصالا مباشرا بحياة الناس فيمنحهم جانب المتعة الذي يروح على النفوس ويدخل عليها البهجة ويزيح ما تراكم عليها من الهموم، ومن جهة أخرى يعمل على ترقية الفكر وحصول المعرفة التي ترتقي بالفرد والجماعة، ومهما كان المسرح يستقطب الجماهير على مختلف طبقاتها، إلا أن المؤسسة الجامعية معنية أكثر بالاهتمام بهذا الفن كونها تشمل النخبة التي لها الدور الأساسي في النهوض بالحياة الاجتماعية.

يعرض البحث لمحة تاريخية في مسار المسرح الجزائري، ويركز على أعمال مسرحية رائدة، كما يبين أهمية المسرح في الجامعة الجزائرية وتأثيره على الطلاب ويصف مستوى المسرح في الجامعة الذي لم يبلغ الهدف المنشود من الفن الدرامي.

الكلمات المفتاحية: المسرح؛ الجامعي؛ أعمال؛ الطلبة؛ الدراما.

Abstract:

Theater has been very important since ancient times In spreading awareness among the masses being a way to influence the souls, With its artistic, human and social values that touch reality and are directly related to people's lives It gives them the side of pleasure that delights souls and brings them joy and removes the accumulated worries On the other hand, it works to promote thought and obtain knowledge that elevates the person and the group, and whatever the theater attracts the masses of its various classes, the university institution is more concerned with this art as it includes the elite that has a primary role in advancing social life.

The research presents a historical overview of the course of the Algerian theater, and focuses on pioneering theatrical works, It also shows the importance of theater in the Algerian university and its impact on students, and describes the level of theater at the university, which did not reach the desired purpose of dramatic art.

key words: theater; university; students; drama.

مقدمة

لدراسة الفن المسرحي عند أي أمة أو شعب فإنه ينبغي البحث في تاريخ الفرحة عند تلك الشعوب، أما دول المغرب العربي فإنها لم تعرف المسرح ولم تكتب شعوبها مسرحيات ولم يكن هناك اتصال بين الإغريق الذين كان لهم الدور الريادي في الإبداع المسرحي، ولم تصلهم عروض مسرحية من الشعوب الأخرى أيضا التي احترفت الفن المسرحي، ومن ثمة فإن هذه الشعوب لم يستقر في أذهانها إنشاء مسرح كما هو متعارف عليه، إلا أنهم كانوا يقومون بعروض للفرحة والألعاب والطقوس الاحتفالية، وقد كتب أرسطو منذ القدم أن الإنسان القديم منذ الطفولة يحمل غريزة التشخيص، وبذلك فإن الإنسان يختلف عن الحيوانات، ومن ثمة فهو أكثر منها قدرة على المحاكاة، وبهذا فإن الناس يجدون المتعة في التشخيص.

1. لمحة تاريخية عن المسرح الجزائري

يعد المسرح أهم وسيلة من وسائل التربية والتوعية الاجتماعي ومن ثمة فهو يهدف إلى تربية المجتمع أخلاقيا واجتماعيا وسياسيا، وهو بالإضافة إلى ذلك "متعة ومعرفة ولغة مشتركة للبشر جميعا قوامها الفعل في الزمان والمكان"¹، ويرجع الأصل في تسمية كلمة مسرح Théâtre إلى الكلمة اليونانية Theatron، وهي مكان الفرحة والمشاهدة، إذ يقوم الممثلون بتسليع الجمهور²، أما المسرحية فإنها التعبير عن صورة من صور الحياة بشكل واضح عن طريق ممثلين يؤدون أدوارهم أمام جمهور محتشد، أو هي قطعة من الحياة ينقلها إلينا الكاتب المسرحي لنراها ممثلة على المسرح³.

وقد بدأ المسرح عند العرب منذ بدأت الربة في النظام العثماني الذي بدأ رفضه من الجماهير العربية، حيث بدأت النخبة العربية في المشرق العربي بإصلاحات سياسية ودينية واجتماعية، وكوّن المثقفون كوكبة متنورة تستمد الإبداعات من اختراعات النهضة الأوروبية، وبدأت الرغبة في المجال المسرحي تظهر منذ استخدام فن الطباعة في الشام، وتجلت من خلال الصحافة العربية، فترجمت النصوص الإبداعية العالمية المسرحية، ومن بين الأسماء اللامعة في المسرح "مارون النقاش"، ويعد مؤسس المسرح العربي، وعلى الرغم من القصور في إنشاء المسرح في العالم العربي والاعتماد على الاقتباس من الغرب، كما اقتبست الفنون الأدبية الأخرى التي لم تعرف لدى العرب، إلا أن الاهتمام بالمسرح حتما سوف يجعله مزدهرا على قدر الاهتمام به⁴، وفي هذه الفترة التي تمثل انفتاحا على المسرح في الشرق العربي، بالإضافة إلى الأعمال والإبداعات المسرحية الفرنسية بالجزائر، جعلت من النخب الجزائرية تلتفت لفن المسرح، وبدأت تتحمل مسؤولية النهوض بهذا الإبداع الهام، وانبرى للكتابة المسرحية مبدعون جزائريون في الدراما

¹ أحمد منور: المسرح الجزائري بدايته وتطوره، مجلة ثقافات، أوت، 1999، ص187.

² أحمد إبراهيم: الدراما والفرحة المسرحية، دار الوفاء، دنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص37.

³ محمد عبد المنعم خفاجي: أزمة المسرح العربي، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1993، ص134.

⁴ علي أحمد باكثير: فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، مكتبة مصر، 1984، ص25.

الجزائرية، فبدأ بذلك تأسيس المسرح في الجزائر، وقام المسرحيون الجزائريون آنذاك بإنشاء عروض باللغة العربية الفصحى واللهجة العامية، أقامها هواة كان لهم شغف بالفن الرابع متأثرين بالمسرح الأوروبي والعربي¹.

وقد بدأ تأسيسه في الجزائر منذ العشرينات حيث أسس مجموعة من الشباب المثقفين جمعية التمثيل في 1921/04/05، وسميت هذه الجمعية "المهذبة"، وقدم أصحابها مسرحية بعنوان "الشقاء بعد العناء" بحضور مثقفين مصريين وقد شجعوا الفرقة على هذا العمل المسرحي، وهي مسرحية ذات فصل واحد، عالجت مضار الخمر وهي " أول مسرحية عربيته جزائرية تأليفًا وتمثيلًا ومتفرجين"².

وشهدت الفترة الاستعمارية نوعا من الحركة المسرحية في الجزائر حيث كان الفرنسيون يقدمون عروض مسرحية في مختلف المسارح الوطنية، وكان لهذه النشاطات تأثير في تكوين ثقافة مسرحية عند الجماهير حيث "عرف المسرح الجزائري إبان الثورة وبعدها تطورات ملموسة في تاريخه من كتاب وفنانين، وكان له تجارب متعدد ومتنوعة"³.

وعلى الرغم من الأجواء الاستعمارية التي تحاصر كل مبادرة للتنوير والتثقيف إلا أن المسرحية كان لها وجود في الأوساط الاجتماعية، وقد سعى من خلالها أصحابها إلى الترفيه عن النفس وكسر أجواء القنوط والمآسي، ومع أساليب القهر إلا أن المسرح الجزائري قد أدى دوره في التثقيف بالإضافة إلى وظيفته الترفيهية، والتزم بالقضايا الاجتماعية والوطنية المختلفة، ووجد في الفكاهة والغناء طريقة للانفلات من رقابة المستعمر الفرنسي⁴.

وعلى الرغم من وسائل الرقابة والإغلاق في العهد الاستعماري إلا أن المسرح منفتحاً على مجالات عدة، حيث عالج مشاكل الأسرة والفقر وواقع المثقفين والأدباء⁵.

2. المسرح الجامعي

ظل المسرح الجزائري يراوح مكانه غداة الاستقلال كما قال صالح لمباركية وكانت النصوص المسرحية المكتوبة قليلة، ومن ثمة فقد عانى المسرح نقصاً في التأليف وخاصة على المستوى الجامعي، وكانت خشبة المسرح الجزائري تعتمد على استيراد الفرق المسرحية من خارج الجامعة، وبالتالي فإن ما ينتج هو خارج ثقافة الطالب والأجواء الجامعية، فالمنتج يصنع خارج أسوار الجامعة نصاً وعرضاً،

¹ نور الدين عمرو: المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، شركة باتنيت، باتنة، الجزائر، ط1، 2006، ص140.

² علي راعي: المسرح في الوطن العربي، المجلس الوطني للفنون والآداب، ط2، الكويت، 1999، ص183.

³ أحمد منور: المسرح الجزائري بدايته وتطوره، ص183، 184.

⁴ علي راعي: المسرح في الوطن العربي، ص460.

⁵ صالح لمباركية: المسرح في الجزائر، دار بهاء الدين، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2007، ص129.

وقد طرح أحد المثقفين أسئلة وجهها إلى أحد القائمين على النادي العلمي الثقافي موسى الأحدي نويوات لكلية الآداب واللغات بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، وكانت الإجابات كالتالي: ¹

المسرح في الجامعة منعدم ولا وجود له ويرجع غياب المسرح الجامعي إلى ما يلي:

- نقص الدعم المادي ووسائل المسرح ووسائل التمثيل.
- الغياب التام للأساتذة والمختصين في هذا الفن عن الساحة الطلابية الإبداعية
- الإقبال المحتشم للطلبة في هذا الفن.
- غياب الإرشادات والتوجيهات للطلبة من قبل الكليات والأقسام والأساتذة.
- طبيعة الإنسان الجزائري تدفعه إلى عدم الاهتمام واللامبالاة بهذا النوع من الفنون ولعله السبب الرئيس والمهم في غياب المسرح في الوسط الجامعي.

- انعدام الحس المسرحي عن التعليم الابتدائي، وهذا ما أثر في تكوين الرغبة في الوسط الجامعي ².

والنتيجة المستخلصة في النهاية من تلك الاستنتاجات تتمثل في تقصير المؤسسات الجامعية في الاهتمام بالفن المسرحي، إذ ينعدم حضوره داخل الجامعة بالمقارنة مع الأجناس الأدبية الأخرى، ثم عزوف الطلبة عن المسرح لأسباب تحتاج إلى تفسير الظاهرة بشكل دقيق على الرغم من وجود إمكانات مسرحية لدى الكثير من الطلبة التي يمكن أن تتطور وترقى لو وجدت من يحفزها ويساندها ويفتح لها المجال ويشجعها، ولا شك أن المسرح الجامعي له دور في توسيع خبرات الطلبة، إذ يكسبهم القدرة على التجديد والابتكار والتمكن من استعمال لغتهم العربية بكل طلاقة، ويكسبهم الوعي الحقيقي لو لقي هذا الجنس الأدبي الدعم التطبيقي الفعلي كما في النشاطات التي تقوم بها مختلف النوادي العلمية والثقافية التابعة للكليات والأقسام الجامعية.

وبهذا فإن المسرح الجامعي له، أهمية قصوى في حياة الطلبة من أجل تطوير مداركهم الحسية والأدبية والفنية، ورغم ذلك فإن هناك أعمالاً رائدة في الوقت الحاضر يمكن أن تكون إرثاً لأعمال مسرحية جادة ومكثفة لدى بعض الكتاب والمثقفين ويلاحظ ذلك في الكثير من الملتقيات الجامعية.

وبذلك فإن المتتبع للحركة الثقافية في الجامعة من خلال البحوث والمقابلات والمكتبات يدرك بوضوح أن المسرح بدأ يستعيد نشاطه ولو من الناحية النظرية، وهذه خطوة إيجابية في الجامعات التي تمثل القدوة في المعرفة حيث تقدم الموضوعات الواعية لقضايا المجتمع، فالمسرح الجامعي يكتسي أهمية بالغة لأنه يقدم الطرح الأكاديمي القائم على المنهجية الصارمة، وقد وبدأ الكثير يتساءل عن المسرح في المنظومة الجامعية الجزائرية وكيفية النهوض بهذا الحقل الأدبي الذي لا غنى عنه، وهناك أصوات خافته تدعو إلى الممارسة

¹ أحمد التيجاني سي كبير ويوسف بغداددي: المسرح الجامعي في الجزائر غياب الحشمة وضمور النص، مجلة اللغة العربية، المجلد، 23، ع2، جامعة الوادي، الجزائر، 2021، ص55 وما بعدها.

² نفسه، ص60 وما بعدها

المسرحية في المؤسسات الجامعية، خاصة وأن الجامعات والمدارس في العالم تمارس نوعاً من الفن المسرحي يسمى "السيكودراما" أو المسرحية النفسية، وهناك طموحات في هذا المجال للنهوض بالمسرح الجامعي من قبل بعض المسؤولين تشجع على فتح المجال للطلبة، وهناك من يرى بأن المسرح الجامعي لا يشجع على النهوض على الرغم من وجود عدة أقسام للفنون الدرامية بالجزائر. ويرجع البعض السبب في عدم الرغبة في النهوض بالمسرح الجامعي، إلى قلة وجود الهياكل المسرحية، وعدم التنسيق بين الجامعة والمؤسسات المسرحية والثقافية.

فمن منا لا يعلم أن "المسرح هو روح الأمة وعنوان تقدمها وعظمتها، في فضاءه وعلى ركحها، تعبر الشعوب عن قضاياها الاجتماعية والسياسية والثقافية... وترسم أحلامها وتطلعاتها، فهو أقرب الفنون إلى الذات لأنه يصور التجربة الإنسانية حركة وقولا"¹.

3. أهمية المسرح في الجامعة

ومن هذا التعريف يمكن القول بأن وجود المسرح في الجامعة يمثل أكثر من ضرورة، لأنه يستهدف مشاركة الطلاب في العرض المسرحي من أجل تنمية قدراتهم الذاتية والشخصية والثقة بالنفس والالتزان النفسي وتحمل المسؤولية، وبذلك ينبغي أن تكون هناك فرق بالجامعات تقدم في كل مرة خلال السنة الدراسية الجامعية عروضاً من شأنها أن ترفه عن الطلبة وتبعث فيهم الأحاسيس الإيجابية فضلاً عن التثقيف، إلا أن المشكل الذي يقي قائماً لتطوير العمل المسرحي في الجزائر هو غياب النص المؤسس، أي غياب اللاوعي في الكتابة الشيء الذي يجعل الكتابة لدينا عبارة عن استنساخ لنص غائب، وهو النص الغربي بالضرورة، وذلك عوض أن تكون هناك إضافة حقيقية وإبداع جديد، ومن ثمة يمكن طرح السؤال التالي: كيف السبيل إلى تحقيقه؟

- هل بممارسة الاقتباس تحت عباءة التأليف؟
- هل بالتخلي عن مبدأ المحاكاة كما هو سائد في الغرب، وكما لا نزال نحن ننقله ونمارسه وذلك حسب رأي أدونيس؟
- هل يربط النص المسرحي بالكتابة الأدبية في الأجناس العربية الأخرى مثل المقامات والحكايات والملاحم الشعبية والاستفادة من تقنياتها في السرد والصياغة والحوار وبناء الشخصية؟²

ويرى الناقد والكاتب المسرحي جون درايدن John Dryden أن المسرحية ينبغي أن تكون صورة صادقة حية تجسد الطبيعة الإنسانية وتعيد العواطف والأحاسيس والأمزجة والتقلبات والتغيرات التي تحدث في أقدار الشخصيات بسبب حظوظهم وطبقاً لمسار الأحداث التي يتناولها الموضوع من أجل إمتاع الجنس البشري وتثقيفه³، ومن ثمة فإن المسرح يحقق أهدافاً سامية كالإظهار النفسي Catharcis لمختلف الممثلين والطلبة والجمهور، حيث تتحقق السلامة النفسية والروحية والتخلص من كل

¹ صالح المباركية: المسرح في الجزائر، من المقدمة، ص1.

² عبد الرحمان بن زيدان: أسئلة المسرح العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص33.

³ مجدي وهيب ومحمد عناني: درايدن والشعر المسرحي، دار المعرفة، القاهرة، 1964، ص67

التوترات والعوائق المترتبة في النفس، والمسرح يكسب الطلبة المعارف الجديدة ويزودهم بتجارب الكاتب المسرحي، ويوطد بينهم أواصر الصداقة.

4. أعمال مسرحية رائدة

قامت الكاتبة الجزائرية فاطمة قالير بترجمة خمس مسرحيات من الفرنسية إلى العربية ثم جمعتها في كتاب تحت عنوان " فاطمة قالير خمس مسرحيات " ويقع الكتاب في 275 صفحة، وقامت بترجمة هذه النصوص أربع مبدعات جزائريات وهذه النصوص هي: "الأميرات" وترجمتها جميلة مصطفى زرقاوي من قسم الفنون بجامعة وهران، ومنال رقيق من قسم اللغة العربية بجامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، مسرحية "الحلفة الذكورية" ترجمتها نوال طامر من كلية الآداب واللغات والفنون قسم الفنون الدرامية بجامعة وهران، مسرحية "الضرائر" وترجمتها جميلة مصطفى زرقاوي، ومسرحية "وتبدو أشجار الخروب من بعيد" وترجمتها حفيظة بلقاسمي، والمسرحية الأخيرة "رسم غزال" وترجمتها جازية فرقاني من قسم الترجمة بجامعة وهران.

أما مسرحية الأميرات فهي نموذج لكل امرأة مغربية أثرت الهجرة إلى الضفة الأخرى تلبية للأنا المتمردة على الأوجاع والمعاناة التي لاقتها من ابن جلدتها، حيث يراها ناكرة للدين والأعراف والعقيدة، أما مسرحية "الحلفة الذكورية" التي تعرض تيمة الختان، وقد كان تهمه حوكت من أجلها المرأة المسلمة المقترنة بالأجنبي ولم تهدد للإسلام وقد عاجلت الكاتبة في المسرحية الموضوع بجرأة كبيرة وبطرح قوي، أما مسرحية "الضرائر" فهي كوميديا تحكي قصة رجل أراد إعادة الزواج مرة ثانية لعقم زوجته الأولى، ثم يصبح أبا لسبع بنات، ويتزوج بامرأة ثالثة ويستمر الحال بإنجاب الإناث، وتحكي المسرحية معاناة الضرائر من الأعمال الشاقة من أجل الزوج وتسلب الحماية، وعاجلت الكاتبة في مسرحية "رسم الغزال" موضوع الجنازة والأعراف الجزائرية، أما مسرحية "وتبدو أشجار الخروب من بعيد" فهي مختلفة عن النصوص المسرحية الأخرى، ويبدو منها التنصل من "أنا" الكاتبة.

وتقول الكاتبة جميلة الزرقاوي في مقدمة الكتاب بأنها تسعى إلى استعمال فتيل التوهج للإنتاج المسرحي النسوي يبراع يجمع بين ثقافتين وحضارتين تجاذبتا وتعاصرتا وخضعتا لسياسة الغالب والمغلوب الخلدونية.

ومن بين المسرحيات الرائدة الخارجة عن الوسط الجامعي التي أثرت بشكل كبير أو بأخر في ثقافة الطالب الجامعي الذي كان يقتنيها وتؤثر على ثقافته من خلال دراسته لها مسرحية "الهارب" للطاهر وطار وفي "انتظار نوفمبر الجديدة" للجنيدي خليفة، و "الانتهازية" لمحمد مرتاض، و "اللجنة المقلوبة" و "السر" لأحمد بشوشة.

وهذه المسرحيات تعالج قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية في الجزائر، وتعكس حياة الفرد الجزائري وسلوكه وعقليته وتقاليده، وتقوم هذه المسرحيات على الصراع المتنوع "إن أئمن وأغلى أنواع الصراع هو الصراع الذي يخفي خلف ظهره النزاع الاجتماعي، هذا الصراع يستعمل غالبا الأشكال الملحمية والدرامية، فهذه الأشكال تعمل بوجودها لتفجير الأعماق التراجيدية

الكامنة في الصراع، حيث يسير نحو وجهتين، إما تراجيدية أو كوميديّة لذلك فهو ينتهي إلى حالتين اثنتين، إما الانهيار أو الإخفاق الذي يؤدي إلى النهاية السعيدة¹.

ومن بين الأعمال المسرحية الرائدة مسرحية "الخالدون" من تأليف عبد الحليم رايس، ولا شك أن الثورة الجزائرية ألهمت الكثير من الكتاب والمؤلفين في كتابة الفن المسرحي ولعل هذه المسرحية تعد نموذجا للأعمال المسرحية الجزائرية الرائدة، وهذه المسرحية مشحونة بخصائص مميزة أدت إلى نجاحها كالأداء والنبر والإيماء والحركة، وهي تقدم صورا حية لواقع دموي عاشته الجزائر إبان ثورة التحرير وكان طلاب الجامعة يطالعون هذه الأعمال الرائدة من خارج الجامعة وظل الطلاب الجامعيون يمارسون عملية المطالعة والقراءة للأعمال المسرحية دون أن تبادر الجامعة إلى ملء الفراغ الكبير في الأنشطة المسرحية داخل الجامعة، ولم تسد الأعمال الخارجية المنحزة هذه الثغرة الكبيرة في الأنشطة الجامعية على الرغم من الضرورة القصوى لهذا النشاط الذي لا يعوضه نشاط آخر.

وقد أثرت بعض المسرحيات الرائدة المكتوبة باللغة الأجنبية في الطلاب مثل: مسرحيات كاتب ياسين الذي كان يسعى دوما من خلال كتاباته إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية والسياسية المحيطة في جراحة من حيث إبداء الرأي، فمسرح كاتب ياسين انبثق من الإيمان بان الكتابة هي إعادة الوعي وبذلك فقد كان يسعى إلى فتح المجال لعودة الوعي وإلى إرادة الإقناع ووجدت مؤلفات كاتب ياسين رواجاً في الأوساط الجامعية، وتعد أعماله رائدة في بث الثقافة المسرحية في الأوساط الجامعية.

أما الآن وقد توفرت كل الوسائل والآليات والإمكانيات للنهوض بالمسرح الجامعي فإن الأمر يحتاج فقط إلى تحفيز الطلاب لإحياء هذا النشاط الهام الذي لا غنى عنه تأليفاً وتمثيلاً، ويتطلب ذلك التعاون بين الإدارة والأساتذة والطلاب الذين لم يجدوا من يدفعهم نحو الإنتاج في العمل المسرحي، ومن بين المحفزات الأخرى هو تقديم البحوث والعروض في هذه المادة، بالإضافة إلى الملتقيات الخاصة التي تتناول هذا الجنس الأدبي، ولعل الملتقيات التي أقيمت في بعض الجامعات قد لاقت إقبالا كبيرا في الأوساط الطلابية ومبادرات معتبرة من الأساتذة، ويمكن أن تكون جامعة محمد بوضياف بالمسيلة من بين الجامعات التي قدم فيها مخبر سيميولوجيا المسرح ملتقيات عديدة وجدت إقبالا منقطع النظر ومشاركات مهمة قام بها الأساتذة والطلاب.

أما الأطروحات والوسائل المقدمة فهي لا تحصى، إلا أن الجانب العلمي التطبيقي للمسرح ظل قاصرا على تقديم الأعمال المسرحية الجادة، وهذا القصور في النتاج المسرحي له جذوره، فهو فن طارئ على الثقافة المغاربية، لأن بلدان المغرب العربي لم تتعرف على هذا الفن إلا بعد الاحتكاك بالثقافة الغربية أثناء الهيمنة الاستعمارية الفرنسية والإسبانية، وذلك من خلال بعض المؤسسات التي ساهمت في تعريف الشعوب المغاربية بهذا الفن وبعض آلياته، بالإضافة إلى زيارة الفرق المسرحية العربية خاصة المصرية التي

¹ كمال الدين عيد: أعلام ومصطلحات المسرح، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006، ص 406، 407.

جعلت هذه البلدان تستفيد من تجاربهم كزيادة فرقة جورج الأبيض عام 1921، وقد تنقلت هذه الفرقة لتعم كل بلدان شمال إفريقيا من ليبيا إلى المغرب، وفي تونس قدمت عدة عروض مسرحية هامة.

وهذه الظروف التاريخية هي التي لم تمكن للمسرح في بلدان المغرب العربي، بالإضافة إلى قلة الإنتاج المحلي أو حتى انعدامه لأن الأعمال المسرحية الشعبية لم تكن في مستوى النضج المطلوب، لذلك فإن انعدام الأعمال الجامعية المسرحية الرائدة في الجامعة أرى إلى هذا العزوف عن المسرح، ولم يترسخ الذوق الفني المسرحي في الأوساط الاجتماعية والجامعية.

5. نظرة نقدية

أما النقد المسرحي فإنه لم يكن أحسن حالا وخاصة في ترجمة الأعمال بعد استقلال هذه البلدان إذ كان المترجمون والنقاد يتوخون الحذر في النقل، ويبين حسن المنيعي أزمة النقد وقد عزاها إلى مجموعة من الأسباب:

1. عدم تطور النقد في مناهج أو تيارات واضحة.

2. فهم تبسيطي للعلاقة بين الفن والواقع.

3. نقص في الثقافة المسرحية.

4. تضخيم المقولات النقدية للخطابات المحشوة التي لا يتحملها النص المسرحي.¹

ولهذا فإن البحث عن الطرق التي تنهض بالمسرح يتطلب القراءة النقدية الواعية للمكتوب المسرحي والشفوي والمسموع والمسكوت عنه والمنسي، لأن البدء يكون أساسا من السؤال بصفته أداة معرفية، فالمسرح الجديد ينبثق من السؤال الجديد، فنحن عندما نغير أسئلتنا نغير مسرحنا، ولما نغير مسرحنا فإن ذلك يعني أن المجتمع قد تغير أو أنه في طريق التغير.²

وإن محاولة البحث عن الطرق والآليات التي تعمل على تنشيط المسرح في الجامعة تبدأ بإنجاز أعمال مسرحية، معتبرة ويتطلب ذلك مخططا تشترك فيه الجامعة والمؤسسات المسؤولة والطلاب وكل الفعاليات الثقافية للتوطيد لهذا الفن من أجل غرسه في الأذهان التي تأبى لحد الآن أن تقوم بهذا الجانب، ولا شك أن المبادرات الساعية إلى ذلك لا تزال محدودة.

ومهما يكن فإن الاقتباس من المسرح الغربي يبقى سيد الموقف إلى زمن متأخر من نشأة المسرح في العالم العربي "فعن طريق المترجمات تعرف الوسط الثقافي على حقيقة المسرح كفن أدبي مستقل"³.

أما الرصيد عند الرواد من كتاب المسرح فإنه غير كاف، ومن ثمة فإنه لا غضاضة في الاقتباس من الأعمال الرائدة في الوطن العربي وفي غيره مع أن البداية تبدو صعبة ليس في جانبها المادي ولكن في الجانب المعنوي ومن ثمة فإن البداية ينبغي أن تكون في الصفوف الأولى في التعليم، حتى ينشأ التلميذ وفي نفسه حب لهذا الفن، ويستمر الاهتمام والتحفيز في كل المراحل التعليمية.

¹ الحسن المنيعي: النقد المسرحي في المغرب، جريدة الاتحاد الاشتراكي، المغرب، 295، 1988 ص 72

² عبد الرحمان بن زيدان: أسئلة المسرح العربي، ص 11

³ عادل أبو شنب: بواكير التأليف المسرحي في سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1978، ص 28.

وينبغي أن تراعي هذه المبادرة تطور العمل المسرحي في جوانب مختلفة وهذه الجوانب تستدعي مختصين وباحثين يعملون وفق منهجية علمية ووفق برامج مسطرة قصيرة المدى وبعيدة المدى، فالمسرح الآن لم يصبح عملا شعبويا لا تراعي فيه المقاييس العلمية، ولا شك أن الدراسات في المسرح بزخمها وتراكمها تساعد على إدماج المسرح بشكل قوي في الأوساط الجامعية من خلال البناء القاعدي في المراحل الدراسية السابقة.

خاتمة:

لا شك أن اهتمام المثقفين الجزائريين بالفن المسرحي لا يكفي وحده لنهضة المسرح في الجزائر وإنما ينبغي أن يكون مدعوما من السلطات لإقامة مهرجانات وملتقيات وأيام مسرحية، وإعطاء دفع مادي ومعنوي للفن المسرحي، ومع ما قدمته السلطات من دعم إلا أن المشرفين لم يقوموا بتنظيمات مدروسة ومحددة للنهوض بهذا الفن، وبقيت الأعمال مبهممة وغير قادرة على فرض نفسها في التظاهرات والمهرجانات الدولية، لذلك فإن هذا الفن إذا ما لقي اهتماما من جميع الشرائح سيما في القطاع الجامعي فإنه قادر على إنجازات معتبرة.

ونتيجة لكل ما سبق فإن هذا الجانب الثقيفي الذي لم يرق إلى المستوى المطلوب في التوجيه الاجتماعي يستدعي تضافر الجهود للنهوض به من أجل تكوين مجتمع متحضر، وفرد جزائري واع لا يتأخر عن إنسان العصر في التربية السلوكية والفكرية، وبالتالي إقامة مجتمع يمتاز بالنضج التام في زمن التحديات العالمية والاستثمارات البشرية.

قائمة المراجع

- أحمد إبراهيم: الدراما والفرجة المسرحية، دار الوفاء، دنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006.
- أحمد التيجاني سي كبير ويوسف بغداداي: المسرح الجامعي في الجزائر غياب الحشمة وضمور النص، مجلة اللغة العربية، المجلد، 23، ع2، جامعة الوادي، الجزائر، 2021.
- أحمد منور: المسرح الجزائري بدايته وتطوره، مجلة ثقافات، أوت، 1999.
- الحسن المنيعي: النقد المسرحي في المغرب، جريدة الاتحاد الاشتراكي، المغرب، 295، 1988.
- صالح مباركية: المسرح في الجزائر، دار بهاء الدين، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2007.
- عادل أبو شنب: بواكير التأليف المسرحي في سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1978.
- عبد الرحمان بن زيدان: أسئلة المسرح العربي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987.
- علي أحمد باكثير: فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية، مكتبة مصر، 1984.
- علي راغي: المسرح في الوطن العربي، المجلس الوطني للفنون والآداب، ط2، الكويت، 1999.
- كمال الدين عيد: أعلام ومصطلحات المسرح، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006.
- مجدي وهيبه ومحمد عناني: درايدن والشعر المسرحي، دار المعرفة، القاهرة، 1964.
- محمد عبد المنعم خفاجي: أزمة المسرح العربي، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1993.
- نور الدين عمرون: المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، شركة باتنيت، باتنة، الجزائر، ط1، 2006.